

القصة النبوية: خصائصها وأهدافها التربوية

الدكتور حافظ محمد بادشاه
محاضر بقسم اللغة العربية
الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

ABSTRACT

The Prophet PBUH was a great practical example for Muslims during his life among them. He PBUH used variety of teaching methods to convey his message in a good manner and the story is one of the most affecting methods among them.

The Arab story is one of the most precious kinds of prose in Arab Literature since the pre Islamic era to the modern era and it has great importance. The Arabic Literature is full of many varied forms of stories. It is important to know that Quran also explains multiple stories. As well the Prophet PBUH narrated the stories for special purposes.

In this article I tried to tell about the basic definitions of a story and the views of different writers about it, and the existence of story in hadith, its characteristics and objectives, and finally I sorted out main conclusions.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، وأهل التقوى والمغفرة، هداًنا للإسلام، وعلمنا القرآن، وأرسل لنا خير معلم ورسول على مدى الأزمان.

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام القدوة العملية الحية للمسلمين إبان حياته بينهم، فقد استخدم عليه الصلاة والسلام أساليب تعليمية متنوعة لإيصال الرسالة بأحسن أسلوب وأبلغه، ومن هذه الأساليب التعليمية المؤثرة أسلوب القصة.

والقصة العربية من أهم الأنواع الثرية في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، ولها أهمية كبيرة، حيث إن الآباء يحكون القصص القديمة لأطفالهم، ونجد أن تراث الأدب العربي حافل بأشكال قصصية كثيرة ومتنوعة.

وهذه الأهمية عرفنا أيضاً من القرآن الكريم لأنه ملئ بلون متعددة من القصة، وكذلك نجد أن النبي ﷺ حكى القصص بأنواعها الخاصة لأهداف خاصة.

وفي هذا البحث الموجز حاولت أن أعرف القصة لغة واصطلاحاً، والقصة عند الأدباء، والقصة في الحديث النبوي، وأسلوبها وأنواعها، وخصائصها وأهدافها، وأخيراً ختمت البحث بنتائج مهمة.

أولاً : تعريف القصة لغة واصطلاحاً

القِصَّة: - بكسر القاف وتشديد الصاد المفتوحة - الأخبار المرويَّة، والأنباء الحكيمَّة، وقد سمَّى الله تعالى ما حدَّثنا به في كتابه من أنباء الغابرين قصصاً، قال سبحانه ﷻ: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾⁽¹⁾، وقال ﷻ: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾⁽²⁾، وقال ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾⁽³⁾، وقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾⁽⁴⁾.

وأصل القصِّ عند العرب تتبُّع الأثر، قال ابن سيده: "قَصَّ آثارهم يقصِّها قِصّاً وقصصاً وتقصَّصها تتبَّعها بالليل، وقيل: هو تتبُّع الأثر أي وقت كان"⁽⁵⁾،

قال ﷺ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ... ﴾⁽⁶⁾ أي اتبعي أثره، وقال ﷺ: ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾⁽⁷⁾، أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر⁽⁸⁾.

ويراد بالقصة الخبر، ورواية الأمر والحديث، قال ابن منظور: "والقصة الخبر، وقص علي خبره يقصه قصاً وقصصاً: أورده، والقصص - بفتح القاف - الخبر المقصوص، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص - بكسر القاف - جمع القصة التي تُكتب، وتقصص الخبر، تتبَّعه، والقصة الأمر والحديث، واقتصصت الحديث، رويته على وجهه، وقص عليه الخبر قصصاً، والقاص هو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها"⁽⁹⁾.

ثانياً: القصة عند الأدباء

القصة في الاصطلاح الأدبي المتداول لم تستقر على مدلول محدد، فهي تارة تستعمل للدلالة على مشتملات الفن القصصي بعامته، من رواية وأقصوصة وحكاية ونادرة... وغيرها، وهي في بعض الأحيان تُستخدَم للدلالة على نوع من الفن القصصي لا يطول ليبلغ حدَّ الرواية، ولا يقصر ليقف عند حدِّ الأقصوصة⁽¹⁰⁾.

يقول طاهر حجار في كتابه "الأدب والأنواع الأدبية": "من الصعب أن نعطي تحديداً شاملاً للقصة بحيث نفهم كل إمكانيات هذا النوع الأدبي الذي لم يثبت بعد، وفعلاً ما هو الفرق بين الرواية والقصة، والقصة القصيرة..."⁽¹¹⁾.

ويقول عز الدين إسماعيل في كتابه "الأدب وفنونه": "لعلنا لا نجاوز الحقيقة عندما نزعم أن عدم وجود تعريف محدد لمصطلح (القصة القصيرة) هو أهم الأسباب التي أوجدت الاختلاط بين القصة القصيرة وغيرها من الأنماط الأدبية"⁽¹²⁾.

ثالثاً: القصة في الحديث النبوي

كان الرسول ﷺ أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجد الرسول ﷺ يتخذ من القصة أسلوباً مهماً من أساليب الدعوة، يحملها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي

عليها الصحابة، ويوجههم من خلالها إلى فهم هذا الدين عقيدةً في الفكر، وطريقةً في السلوك وواقع الحياة.

ومما يعكس لنا اهتمام الرسول ﷺ بالقصة في تعليم الصحابة وتربيتهم أنه كان يكرر القصة الواحدة أكثر من مرة وفي أكثر من مجلس، وربما كان السبب في ذلك هو تجدد الوافدين على مجلسه عليه الصلاة والسلام من المسلمين حديثاً، أو من الصحابة الذين كانوا يتعاقبون في الاستماع إليه، وربما كان السبب أيضاً ما يحرص عليه الرسول ﷺ من تقرير ما تهدف إليه القصة من غايات، وما تتحدث عنه من موضوعات في نفوس مستمعيه، وظاهر تكرار القصة الواحدة في أكثر من مناسبة تؤكدتها وتنطق بما عدة نصوص في كتب الحديث، فقد جاء في سنن الترمذي عند رواية قصة أصحاب الأخدود... قال: وكان ﷺ إذا حدّث بهذا الحديث حدّث بهذا الحديث الآخر، قال: "كان ملك من الملوك.." (13)، وعن قصة "الكفل من بني إسرائيل" قال ابن عمر رضي الله عنه: "لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لو لم أسمعته إلا مرة أو مرتين - حتى عدّ سبع مرات - ولكن سمعته أكثر من ذلك قال: كان الكفل من بني إسرائيل.." (14).

وقد اشتملت كتب الحديث المعتمدة - من صحاح وسنن - على نصوص قصصية كثيرة جداً، وهي متفاوتة طولاً وقصراً، كما تتفاوت أيضاً في حظها من بروز العنصر القصصي.

وقد فطن المحدثون الأوائل إلى هذه الأحاديث والتي تتميز بشكلها القصصي ونصّبوا على تسميتها قصة، ومن أمثلة ذلك عند البخاري قوله: "باب قصة الحبش" (15)، وقوله "باب قصة غزوة بدر" (16)، وقوله: "قصة يأجوج ومأجوج" (17) وغيرها، وعند مسلم كقوله: "حدثنا ابن عون عن محمد عن أنس بهذه القصة نحو حديث يزيد... (18)"، وقوله: "... ثم ذكر سائر الحديث بقصته... (19)"، وقوله: "... بهذا الإسناد، الحديث عن النبي ﷺ مجرداً عن سائر القصة.. (20)"، كما نجد عند الترمذي في سننه هذا اللفظ كثيراً - أعني لفظ "القصة" - فغالباً ما يقول: "وفي

الحديث قصة" (21) و " .. فذكر قصة في هذا الحديث طويلة" (22)، " وكذا نجد عند أبي داود، وابن ماجه، والنسائي في سننهم.

ونجد في "كنز العمال" (23): الكتاب الثالث من حرف القاف: كتاب القصص، وذكر قصة أصحاب الغار، وقصة موسى والخضر عليهما السلام، وغيرهما.

رابعاً: أنواع القصص النبوية

يمكن تقسيم القصص النبوية-باعتبار زمنه -إلى ثلاثة أنواع:

1. القصص التاريخية: ومادة هذه القصص مأخوذة من أحداث التاريخ الواقعة

فيما مضى من سالف الدهر، ولكن القصة التي يعرضها الرسول ﷺ هنا يلاحظ أنها منتقاة من تلك المواد التاريخية السابقة، إذ حرص ﷺ على تقديم ما له أثر في التربية والتوجيه وتأييد أهداف الدعوة الإسلامية وتحقيق أغراضها، دون الاعتناء بكل تفاصيل الواقعة التاريخية، وعند النظر إلى هذا النوع من القصص يمكن تصنيف قصصه إلى ثلاثة أنواع: قصص الأنبياء والمرسلين، قصص بني إسرائيل، قصص لم يحدد زمانها ولا مكانها ولا أقوامها. والجامع بينها كلها أنها وقعت في الزمن الماضي، مما لم يشهده رسول الله ﷺ ولا صحابته، فجاء خبره إلى رسول الله ﷺ عن طريق الوحي فقصّه وبينه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (24).

2. القصص الذاتية الشخصية: الواقعة لرسول الله ﷺ في حياته قبل البعثة أو

بعدها، وهي أحداث حقيقية صادقة نبتت من واقع حياة النبي ﷺ الحافلة بجلال الأعمال، وقصّها للعظة والاعتبار والافتداء.

"وهذه القصص أشبه ما تكون بالمذكرات التي يسجلها الإنسان عن بعض ما يمرُّ به في حياته، والرسول ﷺ في هذا النوع ينتخب أهم تجاربه الذاتية، ويتخير أكثرها إثارة لجعلها مادة قصصية، ينسج منها ما يقصه على أصحابه، مستهدفاً من وراء ذلك ما يحققه غرض هذه التجارب من تعميق إيمان الصحابة بالرسول والرسالة" (25).

3. **القصص الغيبية المستقبلية:** وهذا النوع يمثل عدد من القصص ذي موضوعات شتى تتناول أموراً مختلفة، ولكن رابطاً واحداً يجمعها كلها ويشكل قاسماً مشتركاً بين كل قصة من هذه المجموعة وأختها، وهو أنها كلها تتحدث عن أمور غيبية خاصة - دنيوية أو أخروية - ولا سبيل على الإطلاق إلى معرفة أي شيء منها إلا عن طريق الوحي، وهذا النوع من القصص يؤيد صدق نبوة محمد ﷺ، ويعمق الإيمان بالغيب في نفوس سامعيه، ومع هذا كله فهو معين لا ينضب من التوجيهات و الدروس التربوية التي تنفع من تأملها.

خامساً: خصائص القصص النبوية ﷺ

امتاز القصص النبوية بخصائص فريدة ميزتها عمّا سواها من القصص، وتبدو هذه الخصائص جليّة لكل من قرأ هذه القصص وتأمّلها، ويمكن إجمال هذه الخصائص فيما يلي:

1. **القصص النبوية في غالبها وحي من الله ﷻ،** وقد جاء ما يشير لذلك في القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾⁽²⁶⁾، وقال ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁷⁾، وقال ﴿خُنْ نَفْضُ عَلِيكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾⁽²⁸⁾، وقال ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽²⁹⁾. وهذه الميزة تضيف لصحيح القصص النبوية نوعاً من القداسة، وتريد الثقة بها وتقديرها.

2. **القصص النبوية قصص هادفة، وأغراضها سامية، وأهدافها تربوية:** فالمتأمل للقصص النبوية على اختلاف أنواعها يجد أنها تشترك في غرضها ومقصدتها، فهذه القصص إنما ساقها النبي ﷺ بغرض التربية والتوجيه والدعوة ترغيباً في الخير، وترهيباً من الشر، فما كان النبي ﷺ يعرض تلك القصص

بمختلف أنواعها لذاتها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة، أي أنه لم يعرضها لذات الفن القصصي وإن كان هذا يتحقق تبعاً وإنما كان يعرضها وهو يستهدف بالدرجة الأولى المبادئ والأهداف السامية التي يريد نقلها لأمته⁽³⁰⁾.

3. أصالة موضوعات القصص النبوية، وقوتها، وتنوعها: فالمتأمل لموضوعات القصص النبوية يجد أنها من النوع الذي يثير في السامع أو القارئ كثيراً من الانفعالات، ويحرك فيه شتى العواطف والمشاعر، ويجعله مرتبطاً بمتابعة القصة إلى نهايتها، وذلك لما تتمتع به الموضوعات في القصة من القوة والأصالة، بحيث تستهوي المتلقي وتشده إلى درجة أن يظل الموضوع حياً في تفكيره، عالقاً في ذهنه حتى بعد انتهائه من القصة بفترة طويلة.

ومما يمنح موضوعاته هذه الأصالة ما يُلاحظ في أفكارها من العمق والغنى، إذ تتناول جوانب مهمة من قيم الإسلام ومبادئه، كما تتناول قضايا غاية في الخطورة كقضايا البعث والثواب والعقاب، بالإضافة إلى تناوله جوانب حية من حياة الإنسان وسلوكه وطبائعه بجوانبها المتعددة. وأما الغنى في موضوعات القصة النبوية والتنوع فلا أدل عليه من كثرة القصص التي تربو عن المئة قصة، وكل قصة تحمل فكرة أو أكثر، تعرض قضية ما أو جانباً من جوانبها، وكل حادثة أو موقف أو علاقة في قصة من القصص لا بد أن تنتهي إلى تقرير فكرة أو نظرة أو مضمون ما⁽³¹⁾.

4. الاهتمام بالناحية الشعورية: ونعني بذلك ترفع القصة عن قيود الزمان والمكان لتستوعب الحياة كلها وتبقى آثارها حتى بعد فناء الأشخاص المفترضين فيها، يقول سيد قطب: "بعض القصاص يصور لنا الحوادث والشخصيات بغاية الدقة والبراعة من الناحية القصصية، ولكنه لا يتجاوز بنا محيط هذه الحوادث والشخصيات المحدودة ولا محيط الفترة الزمنية التي تجري فيها الحوادث...، وبعضهم يوقفنا - بعد الحوادث - وجهاً لوجه أمام الحياة كلها: سننها الخالدة و أوضاعها الكونية وأقدارها الشاملة"⁽³²⁾.

5. **الصدق:** فالقصة النبوية لا تجنح إلى الخيال في اختيار موضوعاتها، وإنما تعتمد إلى عالم الواقع، "فهي تخبر عن أمور حدثت، وشخصيات وجدت ليس فيها اختراع للشخصيات، أو تليفق للحوادث"⁽³³⁾.

6. **الواقعية:** حيث نقلت لنا القصة النبوية الشخصية الإنسانية بأمانة ودقة وواقعية، فصوّرت الإنسان بمختلف جوانبه: الخير والشر والقوة والضعف، والإيمان والكفر، الإنسان كما خلقه الله بما فيه من جوانب روحية وجوانب مادية، واقع الإنسان وهو يهبط إلى الأرض وإلى رغبات الأرض، وواقعه وهو يرتفع إلى مستوى نفخة الروح، وواقعه أيضاً وهو يصارع جوانب الشر ويدافعها ويتصر عليها في النهاية مؤكداً بذلك أصالة الخير فيه وقوته في كيانه.

وحين تنتقل إلى نصوص القصة نجد أن جانب الضعف الإنساني واضح في كثير من شخصياتنا نجده مثلاً في قصة " الثلاثة المبتلون"⁽³⁴⁾ نجد الأبرص والأقرع يمثلان جانب الجحود والنكران للحميل، والكفر السافر للنعمة التي أسبغها الله عليهما صحة بعد مرض، وغنى بعد فقر، ولكنهما يكفران ولا يشكران، وهو واقع موجود في نفس الإنسان الذي لم يلتزم تماماً بمنهج الإسلام: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾⁽³⁵⁾، ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي ۖ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفِي ﴾⁽³⁶⁾. (37)

7. **الالتزام:** الالتزام في الأدب يعني أن ينحو الأديب بفنه إلى تحقيق المثل العليا في المجتمعات الإنسانية من خلال الدعوة إلى تثبيت الدعائم الخلقية، ولقد تجلّى هذا المعنى بوضوح في القصة النبوية في مضمونها وفي طريقة أدائها، أما المضمون فإنه مستمد من عقائد الإسلام وأخلاقه، وأما طريقة الأداء فإن أبرز مظاهر الالتزام فيها استخدام الوسيلة النظيفة في التعبير والتصوير للشخصيات والمواقف، فليس فيها ما يثير الغرائز أو يدغدغ المشاعر، مع ما يرد فيها أحياناً من مواقف جنسية تصوّر همّ الرجل بالمرأة، إلا أنها تقدّمه بأسلوب رفيع المستوى تتشع عباراته بالعفة، وترتدي أثواب النزاهة.

8. **دقة الإيجاز وبراعة الإعجاز:** فعبارات القصة النبوية وسائر تراكيبها قصيرة موجزة، تتجلى في نظم متماسك جيد الفصل والوصل، حال من أي نوع من أنواع التعقيد بالتقاسم أو التأخير، بحيث يسترسل القارئ أو السامع مع القصة في متابعة جيدة لا يشعر خلالها بأدنى عناء أو تعثر⁽³⁸⁾.
9. **بساطة التعبير وترك التكلف:** وهي البساطة الزاخرة بالحياة والقوة التي تجعله أكثر تأثيراً وجاذبية؛ نظراً لما يتمتع به من تنوع في الصياغة والتعبير حسب ما يتطلبه عرض القضايا، بعيداً عن البهرجة اللفظية أو المحسنات التي لا طائل تحتها.
10. **استخدام أسلوب التشويق:** وهذا عنصر ذو أهمية كبرى في إضفاء الحيوية على العمل القصصي وضمان استمرار المتلقي في متابعة الأحداث، وإثارة ترقبه وتوقعاته المختلفة لما سيحصل في المستقبل.
11. **التأثير من خلال التصوير:** فقد اعتمد كثير من القصص النبوية على التصوير الذي يشيع جواً من الحياة في ثنايا القصة بحيث تجعل المستمع والقارئ يتخيل هذه القصة كما وقعت فتوقع في قلبه التأثير كأنه يراها. وقد برز التصوير في القصة النبوية في ثلاثة أنواع:
- أ. **تصوير المشاهد والمواقف:** وهذا النوع كثير جداً، وهو الغالب من أنواع التصوير، حيث نجد أن القصص النبوية تحفل بعروض حية لكثير من المشاهد، بحيث تبدو وكأنها تمثل أمامنا واقعاً ملموساً تملأه العين مع الحس والخيال، والأمثلة على هذا النوع متعددة أكتفي هنا بواحد منها: " يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتدلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، " ⁽³⁹⁾ فنحن هنا أمام مشهد حيوي حافل، يصوره الرسول ﷺ في كلمات قليلة، ولكنها معبرة أدق ما يكون التعبير عن هذا الموقف الرهيب الذي وقع فيه هذا الرجل المنكود، إنه مشهد غاية في الإثارة، فهذا الرجل لا يلقى في النار وينتهي الأمر، ولكن القصة تعطينا

صورة مفصلة تحوي أبعاد الموقف من زوايا متعددة، فهذا الرجل الملقي قد اندلقت أمعاؤه إلى خارج بطنه وللقارئ أو السامع أن يتصور هيئته، وهي صورة مزرية شنيعة إلى حد كبير جعلت أهل النار مع ما هم فيه من عذاب شاغل وهم مقيم... (40)

ب. **تصوير العواطف والانفعالات:** ويتجلى هذا التصوير في إبراز هذه العواطف وتلك الانفعالات من خلال سلوك الشخصية وموقفها من الأشياء، ومواجهتها للأحداث، بحيث يكشف لنا موقف الشخصية وتصرفها عما يدور بداخلها من مشاعر وانفعالات. ومن أمثلة هذا النوع في قصة "أصحاب الأعداء" (41) موقف "الغلام" حين أتى الدابة التي سدت على الناس طريقهم فحبستهم، وعند هذا الموقف تصور لنا القصة ما يدور في داخل الغلام من قلق نفسي، وهم يثقل كاهله، وهو موزع بين تلقى الدين من الراهب، وبين تلقى السحر من الساحر، وهو إن كان قد استحباب بفطرته إلى صدق ما عند الراهب، إلا أنه يحس أنه في حاجة إلى طمأنينة أكثر تنبع من الواقع فوق يقينه الفطري. (42)

ت. **وتصوير الشخصيات:** حيث نجد أن القصة النبوية تحاول أن تضع أمامنا معالم الشخصية التي تتحرك في أثناء القصة، أو تشارك في صنع أحداثها، فترسم لنا نوعية الشخصية من خلال العرض القصصي. ومن أمثلة هذا النوع قصة "جرة الذهب". حيث تقول القصة: "اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني،..." (43) فالحوار بين الرجلين، يظهر لنا أي نوع هذين الرجلين ويبين أنهما من الصنف الورع الأمين، المتحوط لدينه، الخائف من الوقوع في الشبهة، برغم بريق الذهب الزاهي أمامهما.

سادساً: أهداف القصص النبوية

ويمكن إجمال أهداف القصص النبوية العامة فيما يلي :

1. بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة وتثبيتها في نفوس المستمعين: وأهم قضية في

أمور العقيدة هي قضية التوحيد، وبيان عظمته، وأهميته، والتحذير من الشرك وبيان سوء عاقبته.

ففي قصة "بطاقة أثقل من تسعة وتسعين سجلاً"⁽⁴⁴⁾ تبرز لنا أهمية كلمة التوحيد، فهي المنقذ الوحيد لذلك الرجل الذي نُشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، وفي قصة "يحیی التَّائِبِينَ" يؤمر بخمس كلمات "تجد أول تلك الخمس التي أعلنها يحيى التَّائِبِينَ على الناس هي أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وفي قصة "إبراهيم التَّائِبِينَ" يلقي أباه أزر في عرصات القيامة" تجد قبح الشرك وسوء عاقبته.

ومن الجوانب العقديّة التي تكررت كثيراً في القصص النبوية إثبات صفات الله تعالى التي تدل على جلاله وكماله سبحانه، فهو الرحمن الرحيم الذي يقبل التوبة، فمثلاً في قصة "سليمان التَّائِبِينَ" يرزق بنصف إنسان" نجد تربية المسلم على تعليقه أمره المستقبلية بمشيئة الله وإذنه، فهذا سليمان التَّائِبِينَ نبي الله يُجرم من تحقيق مراده وغاياته النبيلة من إيجاب مجاهدين في سبيل الله بسبب نسيانه التعليق بمشيئة الملك الوهاب.

2. إثبات صدق نبوة محمد ﷺ وإبراز مكانته العليا عند ربه سبحانه:

فالرسول ﷺ وهو الأمي الذي لم يكن يحسن القراءة والكتابة، ولا عُرف بطلب العلم عمّن كان يحسنه من عرب الجاهلية أو غيرهم من أهل الكتاب، يتلو على قومه هذه القصص، وقد جاء بعضها في دقة وإسهاب، وهذا مما يؤكد أنها وحي من الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾⁽⁴⁵⁾.

وقد جاء في بعضها التنويه بمكانة محمد ﷺ العظيمة عند ربه سبحانه، كما في قصة "الإسراء والمعراج"⁽⁴⁶⁾، وقصة "سبعون ألفاً من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة

بغير حساب⁽⁴⁷⁾، فمن تأمل هذه القصص وغيرها وقف على تكريم الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ واعتنائه بشأنه.

3. الاعتبار والاتعاظ لما جرى للأمم السابقة: "لقد اختار رسول الله ﷺ من قصص الماضين ما يفيض بالعظة المؤثرة، ولا شك أن تأثير الموعظة يكون أشد وأنفذ إلى القلب حين تبدو عبرتها من خلال عرض قصصي"⁽⁴⁸⁾، والاعتبار بالوقائع والأحداث والأخبار الماضية، إنما هي من نصيب العقلاء الذين ينظرون ويتفكرون ويتدبرون، فتتأثر قلوبهم وعقولهم مما علموا أو شاهدوا، وتستجيب نفوسهم لدواعي الخير والبر، وتنصرف عن وساوس الشر ودواعي الإثم، فالذي يمر على العظة والعبرة، دون أن يدركها ويتأثر بها أو يعتبر عندها يكون كمن فقد عقله، أو فقد بصره، وتبدل شعوره وإحساسه، وتجمد تفكيره وإدراكه⁽⁴⁹⁾.

فالنبي ﷺ ما ساق قصص الماضين قاصداً للتأريخ للأحداث والوقائع وإنما كان مقصده الاعتبار بما فيها، فتراه مثلاً في قصة "النبي المعجب بقومه" يبرز العبرة من هذه القصة محذراً من العجب بالنفس والقوة والكثرة، فيصدع بدعائه "اللهم بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا بك"⁽⁵⁰⁾ اعتباراً بما جرى لهذا النبي قبله.

4. التربية بالترهيب والترغيب، وهي نابعة أساساً مما رُكِّب في النفس الإنسانية من طبعي الخوف والرجاء المتقابلتين في هذه النفس من ناحية والمتجاورتين فيها من ناحية أخرى، والخوف والرجاء قوتان مختلفتان في أعماق الكائن البشري، بحيث يوجهان اتجاهه في الحياة ويحددان أهدافه وسلوكه، كما يحددان أيضاً أفكاره ومشاعره، إذ إنه سيختار منهج حياته منطلقاً في ذلك من خوفه ورجائه⁽⁵¹⁾.

فلا تكاد تخلو قصة من القصص النبوية من الترغيب في الأمور الحمودة والأخلاق الكريمة، والترهيب من الأمور المذمومة والحلال الدنيئة.

5. تسلية المؤمنين، ودعوتهم للثبات والصبر، وانتظار العاقبة الحميدة: قال ﷺ: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵²⁾. ففي قصص أخبار الأنبياء والمرسلين وما

لاقوه من أذية وتكذيب، وقصص المؤمنين الصادقين الصابرين تسلية للمؤمنين عمّا يلاقونه من الهموم والمصائب ليصبروا ويثبتوا ويؤمنوا بنصر الله لهم. فمن يقرأ قصة موسى عليه السلام مع قومه وأذيتهم له في نفسه، واتهامه بالغيب، وقصة أصحاب الأندود وما لاقوه من التعذيب والتنكيل، وقصة الغلام والساحر، وما مرّ به إبراهيم عليه السلام من ابتلاءات، ففي قصة "سارة" والملك الجبار" يُتلى بتسلط ملك جبار يريد أن يفجر بامرأته، وفي قصة "زمزم" يترك زوجته وطفله الوحيد في وادٍ قفر إيماناً بقضاء الله وتسليماً لأمره، ثم تنكشف هذه الابتلاءات ويأتي الفرج من الله مفرّج الكرب.

سابعاً: نتيجة البحث

- وفي ختام هذا البحث أقول أن نصوص القصة النبوية لها أهمية من الناحية الأدبية والحضارية، فمن الناحية الأدبية قيمتها وأهميتها هي:
- أنّها تمثل لوناً من ألوان النثر الفني الممتع الجميل، الذي جاء معبراً عن فكرته في ألفاظ سهلة ميسرة، وأنه لون جدّد بعد الإسلام، وجاء متحرراً من منهج النثر الجاهلي الذي كان يخضع لسيطرة سجع الكهان، بما كان عليه من غموض وإبهام، وهي بذات تضيف رصيلاً جديداً إلى عطاء العهد الإسلامي في المجال الأدبي، ثم إنّها تتقدم خطوة أوسع من حيث أهميتها الفنية، حين جاءت في لون قصصي حافل بالعناصر القصصية العامة لهذا الفن، يمثل فترة زمنية متقدمة جداً مما يدل على أصالة العنصر القصصي في الأدب العربي.
 - والناحية الثانية أنّها محتوى رائع لتجارب قصصية متنوعة في مختلف المجالات، وهي بهذا ذخيرة حية تعطي فرصة كبيرة جداً للأدباء والفنانين، لأنّ يستفيدوا منها، وتفتح لهم آفاقاً واسعة، بعيدة المدى في أعماق التاريخ والحضارة والوجود الإنساني والكوني في الماضي والمستقبل، وتتيح لهم بكل ذلك أن يضيفوا إلى تجاربهم، تجارب أخرى يمكن أن يعبروا عنها بشتى طرائقهم الفنية التي وصل إليها الفن البشري، في مجال الأعمال الأدبية والقصصية بشكل

خاص، الذي أتيح له في الوقت الحاضر وسائل كثيرة يستطيع بها إثراء التجربة القصصية وتعميقها.

- وأما قيمتها الحضارية فهي تعبر عن صورة الحضارة التي يجب أن ينشدها الإنسان، وأن يمارس حياته وفقاً للنظام الذي أودعه الله في هذا الكون من التوازن والإنسجام والاعتدال، وذلك بأن يعيش الإنسان حياته بجوانبها المادية والمعنوية، ومجموعة القصص النبوية تفيض بالعطاء الخير للإنسانية في مجالها الحضاري، لتحيا في توازن وسمو، وفي سعادة واستقرار، وفي انطلاق نحو البناء في ظل الحق والخير الجمال.

*_*_*

الهوامش

- (1) سورة طه: 99.
- (2) سورة هود: 100 .
- (3) سورة يوسف: 3.
- (4) سورة يوسف: 111.
- (5) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم ، دار الكتب العلمية، 2000، ج/6، ص/101.
- (6) سورة القصص: 11.
- (7) سورة الكهف: 64.
- (8) محمد بن أحمد الأزهرى ، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج/3، ص 2977.
- (9) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، 2010، ج/7، ص/73.
- (10) د. إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والآداب، دار العليم للملايين، 1998، ج/2، ص/980
- (11) الدكتور طاهر حجار ، الأدب والأنواع الأدبية ، دار طوق النجاة، بيروت، 2004، ص/99
- (12) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، 1999، ص/14
- (13) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995، ح/ 3340.
- (14) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1998، ح/ 4747
- (15) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة ، 1422، كتاب المناقب، ج/4 ص/ 184
- ج/4 ص/ 184
- (16) صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج/5، ص/72.
- (17) نفس المصدر، كتاب الأنبياء، ج/3، ص/137.
- (18) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، 2003، كتاب الآداب، ح/ 2144
- (19) نفس المصدر ، كتاب الأشربة، ح 2040
- (20) نفس المصدر، كتاب اللباس والزينة، ح/2125
- (21) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000، ح/ 491
- (22) سنن الترمذي، ح/ 1714.
- (23) علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي الشهير بالمتقي، وفيه رتَّب كتاب "جمع الجوامع" للسيوطي.

- (24) سورة النجم: 3-4.
- (25) الدكتور محمد بن حسن الزبير، القصص في الحديث النبوي، بدون ناشر، الرياض، 1985، ص/331
- (26) سورة آل عمران: 44.
- (27) سورة هود: 49.
- (28) سورة يوسف: 3.
- (29) سورة النجم: 4.
- (30) الدكتور محمد بن حسن الزبير، القصص في الحديث النبوي، بدون ناشر، الرياض، 1985، ص/427.
- (31) نفس المرجع، ص/379.
- (32) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، الطبعة الثامنة، 2001، ص/79
- (33) مأمون فريز جزار، خصائص القصة الإسلامية، دار المناوة للنشر والتوزيع، 1988، ص/229.
- (34) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ح/3464.
- (35) سورة عبس: 17.
- (36) سورة العلق: 6-7.
- (37) الدكتور محمد بن حسن الزبير، القصص في الحديث النبوي، ص/468.
- (38) نفس المرجع، ص/168.
- (39) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ح/3267.
- (40) كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الفكر، 2000، ص/249
- (41) مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ح/3005
- (42) الدكتور محمد بن حسن الزبير، القصص في حديث النبوي، ص/446
- (43) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ح/3472، و مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، ح/1721
- (44) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ح/2639
- (45) سورة هود: 49.
- (46) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ح/3887
- (47) نفس المرجع، ح/5705
- (48) نفرة النهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، 2004، ص/544.
- (49) أحمد الشرباصي، أخلاق القرآن، مكتبة بحر العلوم للنشر والتوزيع، 1999، ص/133.
- (50) أحمد بن حنبل، مسند إمام أحمد، ت شاکر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998، ح/23927

- (51) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت لبنان، 2000، ص/155
 (52) سورة هود:120.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أخلاق القرآن، لأحمد الشرباصي، مكتبة بحر العلوم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان
3. الأدب والأنواع الأدبية، للدكتور طاهر حجار، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان
4. الأدب وفتونه لعز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان
5. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001
6. الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار الفكر، بيروت لبنان
7. خصائص القصة الإسلامية، مأمون فريز جرار، دار المناوة للنشر والتوزيع، 1988، جدة السعودية.
8. دراسات في القصة العربية الحديثة، محمد زغلول سلام، دار صادر، بيروت لبنان
9. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
10. سيكولوجية القصة في القرآن، نقرة النهامي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس
11. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان
12. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، مصر
13. القصص في الحديث النبوي للدكتور محمد بن حسن الزير، بدون ناشر، الرياض، 1985،
14. القصص النبوي، السيد شحاته، والسيد تقي الدين، دار النهضة العربي، القاهرة - مصر
15. القصص النبوي، السيد شحاته، والسيد تقي الدين، دار النهضة العربي، القاهرة - مصر
16. قصص رواها الرسول ﷺ بدر محمد ملك، مكتبة دار التراث، الكويت، ط الأولى 1410هـ.
17. القصة في السنة النبوية وآثارها التربوية، سلطان محمد عبدالله العرياني - رسالة ماجستير جامعة اليرموك، السعودية
18. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان 2010،
19. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، دار الكتب العلمية 2000، القاهرة، مصر
20. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان

21. المعجم المفصل في اللغة والآداب، د. إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت
22. منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب، دار الشروق، بيروت لبنان
23. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثامنة، بيروت لبنان.

* * * *